

الأحلام التنبؤية والإستشفافية (دراسة نفسية إنثروبولوجية)

أ. م. د. باسم فارس جاسم الغانمي
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

ملخص:

يتضح من هذه الدراسة أن المجتمعات المتحضرة القديمة قد إهتمت بتأويل الأحلام كما عند البابليين والأشوريين والفراعنة واليونان من خلال إستعراض نماذج من مدوناتها الأثرية، ويتضح أيضاً أن مصادر الأديان السماوية قد تناولت هذه الظاهرة، ويعني ذلك الإقرار بها كظاهرة نفسية، ولكن التأويلات الدينية إحصرت في الأحلام التنبؤية (الرمزية). وقد نالت إهتمام الفلاسفة اليونانيين قبل الميلاد والفلاسفة المسلمين في القرن الثالث، أما الفلاسفة الأوربيون فقد إهتموا بها في عصر النهضة وما بعدها ولكنهم إختلفوا في واقعيتها.

وقد أدى هذا الإهتمام من أصحاب الفكر إلى إعتقاد العامة بها وإنسحب ذلك على سلوكهم مما أدخل التجسس والتطير من الأحلام وذلك سلوك معوق للنمو وقد عالجت الدراسة بالتفريق بين الأحلام العادية والأحلام الإستشفافية.

كما عرضت الدراسة سبعة أحلام تمّ توثيقها من علماء النفس البارزين ومن المهتمين بالأحلام الإستشفافية، فضلاً عن حلم واحد للمؤلف مما يجيب على تساؤل واقعية هذه الأحلام.

الأحلام التنبؤية والاستكشافية (دراسة نفسية إنثروبولوجية)

أ.م. د. باسم فارس جاسم الغانمي
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

مقدمة:

الأحلام ظاهرة نفسية مشوقة وغريبة في سلوك الإنسان، تخيفه وتكذره وتفرحه، وذلك من وظيفتها العادية، أما وظيفة (الأخبار عن المستقبل) ذلك ما شوق الإنسان إليها وعدها لغزاً محيراً فأتت رعايته، وحاول تفسيرها والتعرف على ديناميتها، كان البدء موعلاً في القدم إلا أن ما وصلنا يرجع إلى عهد الحضارات القديمة في وادي الرافدين (بابل، آشور، أكد) ووادي النيل تليها رعاية اليونانيين والحضارات الأخرى.

ورعايتهم لا ترجع إلى عوامل فكرية ترفية وإنما شكّلت الأحلام بعداً من معتقداتهم وقراراتهم في تولي الحكم والدين وإدارة الدولة، فكانوا لا يقضون بأمر مهم كالحرب أو السلم إلا بعد أن ينظروا ماذا تقرر الآلهة وسبيلهم إلى ذلك الأحلام.

ولم يقتصر ذلك على المجتمعات القديمة بل غدت الأحلام جزءاً من معتقدات المجتمعات البشرية على مختلف العصور فأثرت على بعض القرارات على البعد الشخصي أو البعد الاجتماعي وذلك ما يتناوله علم النفس بدراسات عديدة وبجدية كبيرة.

كما جاء في النصوص الدينية إقرار بظاهرة الأحلام الاستكشافية مما اكتسبها تعميقاً بالاعتقاد لدى الناس، إضافة إلى أن النصوص الدينية شذبت الأحلام من سلوكيات وطقوس كانت في الحضارات القديمة، وأماطت عن مصدرها فهو من الأعلى إلى الأسفل وليس حسب طلب الكهنة وطقوسهم وتحريفاتهم الذاتية.

والتقت روافد الاعتقاد الشعبي والديني ليكسب الأحلام نوعاً من القدسية، وغدت جزءاً مهماً من مسيرة الفكر الإنساني، ما حدا بالفلاسفة على امتداد عهودهم إلى تناول وتعليل ظاهرة الأحلام وقبولها أو رفضها، إلى أن نالت ظاهرة الأحلام عموماً شيئاً من المنهجية النظرية المحددة بمفهوم الطاقة النفسية الجنسية (Libido) على يد (فرويد) عام ١٩٠٠، ولكنه لم يستقر على رأي بشأن الأحلام التنبؤية إلا أنه أقر بظاهرة (التخاطر).

ولذا أصبحت الأحلام بعداً مساعداً للتعرف على سلوك الفرد، رغباته وإضطراباته كحالة القلق والكدر والشك في الآخر والتوجس من أحداث الحياة، وصارت الظاهرة التنبؤية مجالاً واسعاً ومهماً في علم الباراسايكولوجي وإستقر الاهتمام الحديث بها في مجال الدراسات الفسيولوجية والفيزيائية.

أبعاد الدراسة وأهميتها:

تناولت هذه الدراسة سايكولوجية الإعتقاد بالأحلام الإستشفافية من المنظور الإنثروبولوجي والنفسي مبينة تأثيرها على السلوك الجمعي (في المجال الإجتماعي والديني) من خلال عرض نماذج منتقاة.

وتناولت بعض المفاهيم التي تساعد على تأويل الحلم ومنها (مفهوم الرمزية) أنثروبولوجياً وإستمرارية هذا المفهوم قديماً وحديثاً.

كما طرحت مفهوم (وحدة المطابقة) بين الحدث الواقعي والرؤيا والتي تحصل عادة في الأحلام ذات (المحتوى الصريح) تجنباً لرمزية الأحلام والتي تخضع إلى تأويلات ذاتية مختلفة باختلاف أسلوب الفرد المعرفي وثقافة المجتمع، وقد تناولنا هذا المفهوم في دراسة سابقة (جاسم، ص ٥٠).

وحاولت هذه الدراسة تصنيف الأحلام الإستشفافية إلى بعدين (الإستكشافية والتنبؤية) بناءً على معطيات منهجية بطرح ضوابط تمييز الأحلام الاستشفافية عن الأحلام العادية، وما تقدم من (مفهوم الرمزية ووحدة المطابقة وضوابط التمييز) يساعد على عزل أنواع الأحلام وسبل دراستها وآلية التأويل ومستوى الإعتقاد وتحديد الأثر النفسي على الحالم.

وتوثيقاً لمفهوم الأحلام التنبؤية والإستكشافية عرضت الدراسة ثمانية أحلام نادرة موثقة بأسلوب منهجي من العلماء النفسيين او المهتمين بالأحلام، وذلك مانبني عليه دلالة مهمة وهي واقعية هذه الأحلام.

وقد قيّم عالما النفس (هول وليندزي) واقعية وصعوبة توثيق الأحلام التنبؤية بقولهما (إن من المعتقدات الشائعة عن الأحلام، أنها تتيح أحياناً بياناً دقيقاً لأحداث وقعت في أماكن بعيدة وأن ذلك فرض قابل للاختبار ويمكن، أن يكون ذا دلالة عظيمة إذا تحقق،

فليس من السهل أن تتوافر البيانات المناسبة لذلك أو أنها مشكلة غير تقليدية تجعل اغلب علماء النفس يبتعدون عنها) (هول وليندزي، ص ٢٦٣).

وتضمنت الدراسة بعداً في معالجة الاعتقاد بناءً على النظرية المعرفية المتمثلة بتحليل السلوك المعرفي على وفق (المدخلات أو المعلومات) مروراً بعملية (المعالجة) وإنهاءً (بمخرجات) سلوكية معرفية وذلك لمناقشة تأثير هذه الأحلام على السلوك الفردي أو الجمعي.

وتطلب ذلك طرح مفهوم فلسفي - كلامي لمناقشة حالة التشاؤم من الأحلام من خلال عرض مفهوم القضاء والقدر مع علمنا صعوبة هذا المسلك الفكري مع متعته الفلسفية، لأن من أهداف علم النفس تحقيق السلامة النفسية للفرد في التفكير والسلوك.

أهداف الدراسة:

- تحددت أهداف الدراسة بما يأتي:
- أ- البعد الإنثروبولوجي: عرض معتقدات الحضارات القديمة والنصوص الدينية وما طرحه الفلاسفة ومؤولو الأحلام.
 - ب- البعد المنهجي: عرض بعض الأحلام الموثقة من قبل العلماء والمختصين.
 - ج- البعد المعرفي- النفسي: تأثير المعتقدات (المدخلات المعرفية Inputs) على سلوك الفرد والجماعات ومعالجة آثار الاعتقاد السلبي للأحلام على السلوك.
- والأسئلة التالية تغطي محاور أهداف الدراسة:

أسئلة الدراسة:

- * هل إهتمت الحضارات القديمة بالأحلام الإستشفافية؟
- * هل تناولت الأديان السماوية هذا النوع من الأحلام؟
- * ما رأي بعض الفلاسفة بالأحلام الإستشفافية؟
- * ما مصادر تكوين الأحلام وضوابط التمييز بين الأحلام العادية والإستشفافية؟
- * ما منهجية مفهوم الرمزية ومفهوم وحدة المطابقة وتوظيفهما في التمييز؟
- * ما مدى التوثيق العلمي للأحلام الإستشفافية من قبل المختصين؟
- * هل يقود الاعتقاد بالأحلام إلى التأثير على السلوك الفردي أو الاجتماعي؟
- * ما التصور الفلسفي لإزاحة التوقع التشاؤمي من الأحلام عند بعض الأفراد؟

وقد حاولت هذه الدراسة الإجابة على محاور هذه الأسئلة ومناقشتها بصيغة منفردة أو تعقيبات موزعة حسب متطلبات البعد.

حدود الدراسة: تقتصر الدراسة الحالية على:

- عرض تاريخي أنثروبولوجي لنماذج بعض الأحلام الاستشفائية وتأويلاتها .
- عرض ثمانية من الأحلام التنبؤية والاستكشافية الموثقة علمياً.

مصطلحات الدراسة:

الحلم: سلوك لاشعوري يحصل للفرد في أثناء النوم.
حالة التخاطر (Telepathy): إنتقال فكرة من شخص إلى آخر (دافيدوف، ص ٢٨٤) دون وجود أي وسيلة فيزيائية معروفة ودون مسافة محددة، وقد تكون صوراً أيضاً أو حدثاً.
ظاهرة الاستشفائية (Clairvoyance): من ظواهر الإدراك الحسي الفائق ووظفت كمفهوم يعني (الكشف) عن الأحداث أو الصور أو (التخاطر) يعني إنتقال الأفكار في البقطة أو النوم ومن ضمنها (التنبؤ الواعي) والكشف وراء حواجز وكذلك (الأحلام التنبؤية)، فهي مفهوم عام يغطي مجالاً واسعاً من الدراسات الباراسايكولوجية.
الحلم الإستشفائي (Detection Dream) :

مفهوم يعبر عن الأحلام التي تنبئ عن حدث ما (دون أن تفرق بمتغير زمن الحلم قبل أو بعد الحدث).

وقد ساد إستخدامه في طروحات المجال الباراسايكولوجي، والمتبع للأحلام يجد أن هذا المعنى يتسم بالشمولية، ولذا وجدنا أن الأحلام الإستشفائية ذات فئتين:

أ- من حيث التخاطر خصوصاً إذ تنتقل الفكرة أو الحدث تخاطرياً من شخص إلى آخر بالتزامن أو تخاطر لاحق وهذا الذي يميز الأحلام الإستكشافية.

ب- ومن حيث سبق الحلم لزمن الحدث والمدة الفاصلة بينهما وهذا الذي يميز الأحلام التنبؤية.

ولهذا أدرجنا التصنيفين التاليين:

١- الحلم الإستكشافي (Exploratory Dream) :

الأحلام التنبؤية والإستكشافية (دراسة نفسية إنثروبولوجية)

سلوك يحصل لا شعورياً في أثناء النوم تتطابق أجزاؤه كلاً أو بعضاً مع الأحداث الواقعية التي تحصل (أثناء حصول الحلم أو بعده وهو الغالب) دون أن تكون عند الفرد معلومات حسية مسبقة (رمزية أو صريحة) تتعلق بالحدث الواقعي.

٢- الحلم التنبؤي (Predictive Dream):

سلوك يحصل لا شعورياً في أثناء النوم تتطابق أجزاؤه كلاً أو بعضاً مع الأحداث الواقعية التي تحصل (بعد حصول الحلم عند النائم) دون أن تكون عند الفرد معلومات حسية مسبقة (رمزية أو صريحة) تتعلق بالحدث الواقعي ويحصل الحلم قبل حدوث الحدث الواقعي بمدة من الزمن قد تمتد من عدة ساعات إلى سنة.

٣- الحلم الإبداعي (Creative Dream):

سلوك يحصل لا شعورياً في أثناء النوم يكون نتاجاً لفكرة أو حلاً لمشكلة ما يفكر بها الشخص قبل النوم.

٤- الحلم العادي أو المألوف (Normal Dream):

سلوك يحصل لا شعورياً في أثناء النوم بسبب منبهات نفسية وحسية (خارجية وداخلية) أنظر مصادر الحلم العادي لاحقاً.

٥- الرمزية (Symbolic):

استعمال الحلم للرموز كوسيلة للتعبير وهذه الرموز قد تكون عامة عند كل الناس (الأسد أو الذئب كرمز للأب) وقد تكون خاصة بثقافة معينة أو خاصة بخبرة الفرد (مخيم، ١٩٧٥، ص ١٩٧). والمعنى الخاص لأي رمز يفهم من السياق الكلي مع مراعاة التجارب الخاصة للفرد (فروم، ١٩٩٠، ص ٢٣). فقد تكون الكلمة رمزاً إذا كانت شائعة والصورة كذلك وإن العلم يرمز لبلد معين مع العلم ليس هناك علاقة بين ألوان العلم والبلد (فروم، ١٩٩٠، ص ١٩) ونجدها في الأغاني والأساطير والطرائف والأمثال وتختلط الرمزية بالإحساسات السمعية أو البصرية أو الشمية في أثناء النوم فتشوش آلية الحلم والتأويل الشعبي في مجتمعاتنا يعتمد على الرمزية في كثير من تفسيراته للأحلام.

٦- وحدة المطابقة (Similar Unit):

وتعني تطابق وحدات الحلم مع وحدات الحدث جزئياً أو كلياً بشكل صريح وواضح ومن المستبعد توقعها (جاسم، ص ٥٠).

٧- الأنثروبولوجيا الثقافية (Cultural Anthropology) :

تعني دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد والأساطير والأخلاق والفن والقانون في مجتمع معين لمدة قديمة أو لمدة حاضرة، أو مقارنة هذه المكونات بين مجتمعين معاصرين أو قديمين.

♦ رأي بعض الفلاسفة في الأحلام التنبؤية:

تناول بعض الفلاسفة ظاهرة الأحلام الإستشافية من حيث القبول والرفض:

قال أرسطو: إن الأحلام ليست مبعوثة من الآلهة (فرويد، ص ٤٤).

أما ابن سينا فيقول:

(والتجربة والقياس متطابقان على أن النفس الإنسانية أن تتال من الغيب نيلا ما في حالة

النوم فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حالة اليقظة) (ابن سينا، ج ٣، ص ٢٩٩).

فهو يحتج بصحة إستكشاف الغيب في حالة اليقظة إستناداً بصحة الحلم أثناء النوم.

ورفض (شيشرون) هذا النوع من الأحلام التنبؤية ففي قصيدته (عن التنبؤ بالأحلام) أشار

إلى أن الأحلام لا تستحق أي تصديق أو انتباه (فروم، ص ٩٦).

واعتقد (توما الاكويني) أن بعض الأحلام مرسلة من الله (فروم ، ص ١٠٢).

إلا أن (كانت) أنكر أي وحي مقدس للأحلام (فروم، ص ١٠٣).

أما (برجسون) فله تصور خاص حيث يقر (اللحن المنشود) الذي ألفه "تارنتيني" في الحلم

(القرن التاسع عشر) ويذكر أيضاً أن "ستيفاسون" عمل بعض قصصه أصالة وخططها في

أثناء الحلم (برجسون، ص ١١١) وهذا النوع من الأحلام هو من الأحلام الإبداعية (التفكير

قبل النوم) وهو لا يستغرب أيضاً ما ينبئ به الحلم من التهاب الحنجرة أو الغدة النكافية أو

الصرع (برجسون، ص ١٠٩) وهذا النوع من الأحلام الاستكشافية ذات مصادر حسية، ولا

يدخل ضمن أهداف الدراسة الحالية.

وجهات نظر في تعليل ظاهرة الحلم التنبؤي :

* ديمقريطس (٣٧٠ق.م): فسر ظاهرة التخاطر في الحلم بنظرة فيزيائية تفيد: أن هذه

الذرات تصدر صوراً عن نفسها إذ يدفعها الكائن الحي عندما يكون مشحوناً عاطفياً وحينئذ

تتقل إلى الحالم عبر مسامات جسمه. (كمال، علي، ص ٦٢٨).

* أرسطو (٣٢٢ ق.م): يشبه الأحلام التخاطرية بموجات مماثلة لرفاقات الماء تنتشر في هواء الليل أو النهار وتصل إلى روح النائم وإن النائم أكثر تحسناً لها (كمال، علي، ص ٦٢٩) وهذا التعليل أيضاً من المنظور الفيزيائي ولديه رأي آخر خلاف هذا.

* فرويد: يرى إن ظاهرة التخاطر في أغلب الظن عملية فيزيقية تتوسط حدثين بين شخصين شبيهة بالتكلم والاستماع بالهاتف وهي وسيلة الاتصال للتفاهم بين الأفراد قديماً. وتراجع هذا الأسلوب في أثناء تطور النوع الإنساني (Freud, P.80) وله رأي خلاف هذا في موقف آخر. ويشير إلى أنه قد نوقّح عما قريب إلى تعليل سايكولوجي طبيعي لطائفة من الحالات (فرويد، ص ١١٢) .

* فروم: يرى إن بعض الأحلام ذات علامات حوادث مستقبلية إلا أنه ينبغي معرفة أن سبب الأحلام يكون داخلياً أو خارجياً فإذا تطابق الحلم مع الحادثة فذلك يعني المصادفة (فروم، ص ١٠١) وبناءً على المكتشفات الفيزيائية الحديثة يمكن أن يكون التصور لمثل هذه الظواهر قريباً لإدراكنا.

مصادر تكوين الأحلام العادية وآلياتها وظوابط تمييزها:

(إذا علمنا كيفية تكوين الحلم عرفنا نوعه وتأويله).

إن معرفة أساليب تأويل الحلم منهجياً يتطلب أن نتعرف على مصادر الحلم الحسية والنفسية وآلياته وشروط التمييز بين الأحلام العادية والأحلام الإستشفافية.

وما تقدم أحد محاور أهداف الدراسة المتمثلة بإزاحة التوقع التشاؤمي من الأحلام العادية.

مصادر الحلم العادي (المنبهات النفسية والحسية الخارجية والداخلية):

١- أحداث اليوم السابق للحلم (رؤيا أو سماع قول أو حدث قبل ليلة الحلم). ص ٢٠٤

٢- مادة الطفولة: قد تظهر في الحلم انطباعات ترجع لحياة الطفولة الأولى، تبدو بعيدة عن متناول الذاكرة في اليقظة (فرويد، ص ٢٠٩).

٣- الرغبة: إن بعض الأحلام تحقق الرغبات بشكل صريح وأحلاماً أخرى يختفي فيها تحقيق الرغبة ويظل مقنعاً (فرويد، ص ٥٤١).

٤- العوامل الفيزيائية: قد ينفذ ضوء ساطع إلى العين فيتمثل كالحريق في الحلم أو صوت جرس الباب يتمثل بجرس المدرسة أو منبه مركبة أو تعرض النائم إلى أشعة الشمس.

٥- التهيجات الحسية الداخلية: فالمصابون بأمراض الرئتين يحلمون بالاختناق والزكام،

والتهيج الجنسي في محتوى الحلم يستطيع كل امرئ أن يقدّره بالرجوع إلى خبرته (فرويد، ص ٢٣٩) ونوعية الطعام وكثرته أو حالة الجوع أو العطش.

الآليات النفسية العاملة في الحلم :

يتطلب فهم الحلم أو تفسيره التعرف بالآليات النفسية التي تعمل على تكوين الحلم وإخراجه على الشكل الذي هو عليه ويعتقد فرويد أنها قوانين تحدث في اللاشعور وتفسر معظم ما يبدو لنا غريباً في الحلم (فرويد، ص ٣٧) كآلية التكيف (ص ٢٩٢) والإزاحة والرمزية والرقابة وآلية الإخراج (فرويد، ص ٣٥، ص ٦٥، ص ١٤٨).

فحين (يخطر على بالي صديق، ولديّ رغبة في شراء حاجة ما، وشاهدت حادثاً مركبة في فلم قبل النوم) يكتفها الحلم ويدمجها ويخرجها على النحو التالي:

(انا في سوق المدينة لشراء حاجتي (تحقيق رغبة) وظهر صديقي فجأة فألتقينا (خاطرة قبل النوم) وكان مكان اللقاء قرب مدرستي الابتدائية (ذكريات طفولة) وتسقط بعض الصناديق في الشارع (إزاحة لحادث المركبة لموضوع أخف تأثيراً لتطمين الحالم).

ضوابط وشروط تمييز الحلم التنبؤي أو الإستكشافي عن الحلم العادي:

ونعني بها أسس وقواعد تحليل محتوى الحلم ووحدته المطابقة:

أ- أن تكون وحدة المطابقة متشابهة (الفكرة والحدث) بين الحلم والحدث الواقعي وتعني أن تكون وحدة من وحدات الحلم مطابقة مع وحدة من وحدات الحدث الواقعي.

ب- أن تكون وحدة المطابقة بعيدة الاحتمال أو التوقع.

ج- أن تكون فكرة الوحدة في الحلم غير مشوشة إذ تمثل موضوعاً يمكن ملاحظته والتعرف به.

د- ليس هناك منبهات حسية سابقة (بصرية أو سمعية أو لمسية) قبل النوم لأنها تكون

بمثابة عوامل نغارة لعملية إخراج الحلم (جاسم، ص ٤٩).

هـ- استبعاد الأحلام ذات الأفكار الرمزية مثلاً (السماك يرمز للرزق).

و- استبعاد أفكار الحلم التي تحصل أحداثها في الحياة اليومية بشكل اعتيادي ومتوقع مثل (الحلم بالرسوب في مادة الرياضيات، والحالم أساساً ذو مستوى ضعيف أكاديمياً في هذه

المادة أو بمقتل عسكري في إنشاء الحروب) (جاسم، ص ٤٨).

ز- أو أن تكون أفكاراً متعددة ولكنها مترابطة وتعد فكرة واحدة تمثل وحدة مطابقة.

ح- أو أن تكون احتمالات كثيرة ممكنة أو توقعات متعددة ويحصل الحلم بوحدة منها.

===== الأحلام التنبؤية والإستكشافية (دراسة نفسية إنثروبولوجية) =====

كحلم فتاة أن صديقتها ولدت توأمين ذكرين فإن هذا الاحتمال واحداً من عدة احتمالات. ولهذا تعد فكرة (توأمين ذكور) وحدة مطابقة (جاسم، ص ٦٢) وقد حصل هذا الحلم عام ١٩٩٨ قبل شيوع تقنية كشف الأجنة.

الأحلام الإستكشافية في الحضارات القديمة:

حين ظهرت الكتابة السومرية بحدود (٢٣٧٠ ق.م) (سوسة، ص ١٥٣) دون الإنسان البابلي شؤونهم ومنها الأحلام كما تؤيدها المدونات البابلية، وقد عرض (أوبنهايم) مدونات حجرية عن الأحلام عند الآشوريين (Oppenheim, 1956)، ودون الفراعنة أحلامهم على ورق من البردي.

واستجاب لها الإنسان بأشكال مختلفة فكان يعزوها لقوى خارقة لا يستطيع ردها وأحياناً يعزوها للأرواح الشريرة أو تماس مع الإلهة (Oppenheim, 1956, p: 206) فهي تنذر تارة وتحذر تارة أخرى، كما أن تاريخ البشرية حافل بالمدونات التي تفيد باعتقادهم بأن الأحلام تنبئ بالمستقبل خيراً أو شراً.

فكان الملك يطلب من الرائيين أن يضعوا أنفسهم في حالة استلام الإيعازات، عن طريق الأحلام ويجري ذلك الطقس في الهيكل، وكان العراف يجهد نفسه لأجل رؤيا لصالح الملك، إذ عليه أن يغتسل فجرأ ويدهن نفسه ويضع في فمه شيئاً من الأرز يلعسه وهو صائم وغيرها من الطقوس فتحصل الرؤيا، فيقصها وتبدأ التأويلات سلباً أو إيجاباً (روثن، ص ٥٨).

* الأحلام التنبؤية عند البابليين:

في حضارات وادي الرافدين القديمة اعتقد الإنسان بالأحلام وفسرت الأحلام بأنها أنباء المستقبل تخبرها الإلهة، تخبرهم بالموت والحياة والحرب والسلم والنصر والهزيمة والجفاف والفيضان، وأن قرار إعادة بناء معبد كان في الواقع يتخذه الإله الذي كان يخبر الملك بما هو مطلوب، ومن الأمثلة المعروفة عن التعليمات المقدسة لبناء معبد هو ما ورد في حلم جوديا (أحد ملوك لكش السومرية ٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م):

ظهر في الحلم رجل ضخم بقدر السماء ، ضخم بقدر الأرض ... وأمرني أن أشيد معبداً.... لذا التجأ جوديا لمعبد الإلهة التي تعتنى بالدرجة الأولى بالأحلام لتأكيد وتوضيح معنى حلمه (ساكر، ص ٤١٨) بتصرف.

وفي ملحمة كلكاش وردت النصوص الآتية:
- يروي كلكاش لصديقه إنكيو هذا الحلم الأول الذي رآه:
... (كنا نتقدم) في أغوار الجبل،
حينما إنهار الجبل (على كلينا)،
إلا (إننا طرنا) مثل ذباب القصب،
إنه حلم نفيس (من كل جهة)،
صديقي إن الجبل الذي رأيته (في الحلم)،
يعني أننا سنطير على خمبابا، وإننا (سنقتله)،
و(إننا سنلقي)جثته في السهل (لابات، ص ١٩٦) بتصرف. وخمبابا هو الوحش الذي يسكن في
غابات الأرز في جبال لبنان. وفي رؤيا أخرى لكلكاش:
... أنا وجاموس وحشي كنا في عراق:
كانت صرخة ترن وتشق الأرض،
وكانت عواصف غباره تملأ السماء دخانا،
وكننت أنا أمامه أجابه
(إذ ذاك رجل) امسكني...بذراعي، جذبني ...
و(سقاني) ماء من قربته.
(قال انكيو): " يا صديقي، إن الإله الذي نذهب إليه(يختلف) عنه.
... هذا الجاموس الذي رأيته، هو شمش(إله) النور،
إنه سيمسك بيدنا في المحن (لابات،ص١٩٨) بتصرف.
وهنا نرى أن دلالة (الجبل) ترمز إلى الأعلى بمعنى الطيران أو الفوقية وتنتهي بمعنى
(الانتصار)على خمبابا، ودلالة الجاموس ترمز إلى القوة وهو الإله، وسنتابع دلالة الرمزية في
النماذج القادمة.
كما نلاحظ قوة الصورة والعاطفة ودقة وصف الحركة في هذه النصوص ما يشير إلى رقي
الأدب البابلي.
*أمثلة لتأويل الحلم عند البابليين:
ونجد في المدونات البابلية أمثلة لتأويلات الأحلام:

- وإن نزل أحد إلى باطن الأرض وحياء ميت، فإن حائطاً سيسقط عليه ويقتله، أما إذا قبله ميت فإنه سينال البركة.

- و أن حلم شخص أن له بستاناً كبيراً لا حد له، فإن ما يملكه سيفنى (روث، ص ٦٠).
ومثل هذا التأويل نجد شائعاً في مجتمعاتنا المعاصرة، فتحية الميت تؤول بالخير أو الشر، ولكن الغرابة في تأويل قبلة الميت ورمزها إلى البركة وربما يرجع ذلك إلى معتقد ما عند البابليين، والحلم بالملك الكثير يرمز إلى الضد وهو فناء الملك وهذا أيضاً من تأويلات المجتمع العربي.
تأويل الحلم عند الآشوريين:

- إذا خرج إدارر الرجل في الحلم وملأ الشوارع فتصادر أملاكه وتعطى للمدينة.
- إذا حلم الرجل أن إداره اتجه إلى الأعلى، إلى السماء فسيكون الابن الذي أنجبه ذلك الرجل مهماً، غير أن أيامه ستكون قصيرة.
- إذا أعطى شخص في الحلم إلى المحتلم عجلة فسيكون له توأم (ساكر، ص ٢١٧).
لا نجد تعليقاً مناسباً لرمزية (الإدارر) على مصادرة الأملاك أو الإتيان أو قصر العمر وربما يكون الإدارر رمزاً للاستهانة بالآلهة أو الحكام وعدم احترامهم والتي تؤدي إلى هلاك الشخص آنذاك كأن يمتنع عن دفع ضريبة للكاهن أو الدولة وذلك يعني أنه لا يحترمها فيعاقب بالموت، ويمكن أن نجد رمزاً مناسباً للعلاقة بين العجلة وولادة توأم، لأن المركبة في العهد البابلي ذات إطارين.

* الأحلام عند الفراعنة:

يذكر الدكتور (حسن كمال) أن (Alan H. Gardiner) قدم شرحاً لما جاء بكتاب الأحلام الفرعوني:

وهو عبارة عن ورقة من البردي. يرجع إلى زمن الأسرة ١٢ (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق م)

(لوح ٤ سطر ١ - ١٣) وهذه بعض الأمثلة لتأويلاتهم:

يرى وجهه كالفهد جيد ذلك يعني سيصبح رئيساً.

يرى قطة كبيرة جيد ذلك يعني سيحصل حصداً كثيراً.

يقتل ثوراً جيد ذلك يعني يقتل أعداءه.

يرى نفسه ميتاً جيد ذلك يعني سيعيش طويلاً.

تشب النار في سريرته ..سيء ذلك يعني هجران زوجته له.

بأكل لحم ثورسيء ذلك يعني يتوقع مشاجرة.

يطفى ناراً بالماء سيء ذلك يعني نهاية أملاكه.

(كمال، حسن، ص ص ٥٥٣-٥٥٤) بتصرف، فالثور هنا يرمز إلى القوة والعدوانية والعراك، ورأينا أن الجاموس عند البابليين يرمز إلى العراك أو القوة أو الإله، وربما يشير هذا إلى تجانس المعتقدات عند البابليين والمصريين، ورؤية الإنسان نفسه ميتاً أولها الحلم إلى عمر طويل، ذلك ما نجده في تأويل الأحلام في وادي الرافدين قديماً وفي معتقداتنا الشعبية اللاحقة. وهجران الزوجة لزوجها يشير إلى أن الإفتراق قد يكون بيد الزوجة عند الفراعنة أو إن حريق السرير يرمز إلى الهجران والافتراق وبصورة ما يعني تفكك الأسرة.

حلم تحوتمس:

نقش على لوح حجري منصوب بين ذراعي أبي الهول يحكي قصة تحوتمس الرابع (١٤٢٠ - ١٤١١ ق.م):

أنه رأى أبا الهول في الحلم ووعده إذا هو أزال الأثرية حوله أن يجلسه على عرش مصر، ولما استيقظ أقسم أنه سيحقق رغبة المعبود وقد نفذ ذلك بعد توليه الملك بعدما توفي (أمنحوتب) الثاني (كمال، حسن، ص ٥٥٥) ولنا أن نقارن بين معطيات هذا الحلم وحلم جوديا، فالحلمان يصدران من الآلهة كأمر أو وعدٍ وهي أحلام صريحة بغض النظر عن كونها تحقيق رغبة للحالم أو أنها مختلفة إلا أنها تحقق هدف وهو الحكم استغلالاً لمعتقدات الناس وإلا لماذا لا تصدر الآلهة أحلاماً رمزية والتي كثيراً ما نجدها في مدوناتهم.

الأحلام التنبؤية في المعتقدات الدينية:

لا يعني تقديمنا لظاهرة الأحلام في الحضارات القديمة أنها أكثر سبقاً للنصوص الدينية، فقد تكون النصوص الدينية سابقة لنشأة الحضارات أو متزامنة معها، وسنرى رؤية النبي إبراهيم (ع) قد تزامنت مع حضارة بابل القديمة والتي يصل عمقها التاريخي في حوالي ٢٠٠٠ ق.م، وهذا الأمر متروك لعلم الأديان والحضارات المقارن.

جاء في التوراة- الإصحاح الحادي والأربعين:

فقال فرعون ليوسف إني كنت في حلمي واقفاً على شاطئ النهر. وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينه اللحم وحسنة الصورة .. ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراها مهزولة وقبيحة الصورة جداً ... فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينه...

واستيقظت ثم رأيت في حلمي وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممثلة وحسنة ثم هو ذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابثة وراءها فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني... (سفر التكوين، الإصحاح الحادي والأربعون) بتصرف، وسناقش مفهوم الرمزية التي وردت في هذه الرؤيا لاحقاً.

الحلم التنبؤي في التراث الهندي:

(حلم الملكة مايا والدة بوذا)

رأت أربعة ملوك عظماء يرفعونها في سريرها ويأخذونها إلى جبال الهملايا... ثم رأت زوجات هؤلاء الملوك الأربعة . يأتين إليها فيأخذنها إلى بحيرة (انوتانا) ويغمسها في الماء ليزلن عنها الصبغة البشرية... واستيقظت الملكة في اليوم التالي وقصت حلمها للملك.

فدعا الملك أعلام البراهمة، واستفسرهم فقال البراهمة:

لا يأخذنك الهم أيها الملك فقد حَمَلَتْ الملكة ذكراً. ولو سكن ذلك الولد بيتاً فسيكون ملكاً. وإن ترك داره وخرج من أحضان العالم فسيصبح بوذا....

وحَمَلَتْ الملكة "مايا" ولما أن جاءها أوانها رغبت في الذهاب إلى بيت أهلها. وهي في الطريق ذهبت إلى جذع شجرة كبيرة ... اهتزت بالمخاض فوضعت وليدها.

عند مولد بوذا ظهر في السماء ضوء لامع. (ديورانت، ج ٣، ص ٦٦) بتصرف.

ونلاحظ بعض الصور والأحداث التي وردت في هذه الوحدة الانثروبولوجية تتشابه مع حالة ولادة السيد المسيح (ع) إذ أن ولادته كانت قرب نخلة، فأكلت مريم (ع) من رطبها، وعند مولد بوذا ظهر في السماء ضوء لامع، وقد ورد في الإنجيل أن هنالك نجماً ظهر لامعاً في الشرق عند ولادة السيد المسيح (متى، الإصحاح الثاني).

كما أن استدعاء الملك لأعلام البراهمة، مستغسراً عن تأويل الحلم، تذكر باستدعاء فرعون للمفسرين لتأويل حلمه كما جاء في التوراة. وهنا يأتي تساؤل أيهما أضفى على الآخر هذه الأحداث ؟ ذلك ما نأمل أن يتناوله المختصون في مجال علم الأديان المقارن.

* الأحلام الإستكشافية في الإنجيل:

ورد في إنجيل متى (فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر • قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل • لأنه قد مات الذين كانوا يطلبونه نفس الصبي) (متى، الإصحاح الثاني) وهذا النوع من الحلم من النمط الإستكشافي

لأن الحدث وهو وفاة (هيروودس) قد سبق زمن الرؤيا، والرؤيا هنا ذات مضمون اخباري صريح ويوسف خطيب مريم حسب الإنجيل .

* الأحلام التنبؤية في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم ورد ذكر الرؤيا في آيات عديدة ويمكن أن نستقري منها ثلاثة أصناف:

١- الأحلام الرمزية:

في قوله تعالى على لسان يوسف : {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف: ٤) والسجود هنا بمعنى الدخول في ولايته أو حكمه وليس بالمعنى الإصطلاحي الفقهي.

فالأحد عشر كوكباً هم أخوة يوسف والشمس والقمر هما والداه، وهنا نلاحظ وضوح رمزية الإبدال.

وفي قوله تعالى عن لسان فرعون ملك مصر {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} (يوسف: ٤٣).

فالبقرات السبع السمان والسنبلات الخضراء كناية عن وفرة الزرع والضرع والبقرات السبع العجاف والسنبلات اليابسات كناية عن القحط.

والتأمل في عناصر الرؤيا يدرك سريعاً ما تقصده رموزها، وتكاد تصرح بالمحتوى وذلك ما يسمى (بالسهل الممتنع) فلا يحتاج التأويل إلى استقراء مشوش للدلالات الرمزية، فالطعام والعيش من شؤون الإنسان المهمة.

٢- أحلام الاختبار الخاصة:

وهذا النوع من الأحلام عادة ما يحصل للأنبياء بصفة إختبار لهم كما حدث للنبي إبراهيم (ع) بعد إتمام بناء الكعبة في المكان الحالي عنه:

{وَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ خَلِيمٍ} ١٠١ {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} ١٠٢ { (الصافات).

ونستنتج من هذه الرؤيا أن الاعتقاد بظاهرة الأحلام قد نضج في تلك الحقبة التاريخية في زمن النبي إبراهيم إلى الدرجة التي جعلته ينفذ محتوى الحلم مع مضمونه التراجمي، ولم يحاول تأويله بمفهوم (الرمزية أو مفهوم الضد) كما يحصل في تأويل الأحلام المكدر، كما يشير الحدث إلى أن الرؤيا أحد أساليب الوحي الإلهي إلى الأنبياء مما يزيد في قدسيتها. وقد وردت هذه الحادثة في التوراة ولكن الاختلاف أن الذبيح المفترض كان إسحاق وأن موضع الذبح في جبل الرب كما ذكر (سفر التكوين، ٢٢، ١٤).

٣- الإخبار عن الأحداث في المستقبل:

جاء في الأخبار عن فتح مكة والبشارة للمؤمنين من خلال رؤيا رآها الرسول (ص) في منامه وأخبر بها أصحابه:

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧).
أليس من المتوقع لو لم يتم الفتح لتسأل الناس عن حقيقة الأمر؟ وكيف يخبرهم عن أمر لم يحصل؟ وقد تحقق فتح مكة، وهذا النوع من الأحلام التنبؤية (ذات المحتوى الصريح).

نماذج إنثروبولوجية:

إنموذج رقم (١): كتاب تعبير الرؤيا تأليف: أرتاميدورس الأفسسي.

عاش الأفسسي اليوناني في القرن الثاني للميلاد، وكتابه من أشهر المؤلفات في هذا المجال أن لم يكن أول ما ألف في تأويل الأحلام بهذا التصنيف وهذا الحجم عند اليونانيين والرومان حسب متابعات الباحث لذلك.

ومما يثير الاندهاش أنه كيف كان الأقدمون يؤولون الأحلام بهذه المنهجية التي اعتمد عليها من جاء بعدهم.

والمتتبع لكتب تأويل الأحلام يجد معالم مهمة وكثيرة وتفاصيل قد أقتبست من أرتاميدورس، ولكن فرويد منهجها على وفق موضوعات وعناوين كمفهوم (الرمزية)، ولذا يعد كتاب أرتاميدورس فتحاً فكرياً مهماً إذا ما أضفنا عمقه التاريخي الذي يثير لدينا تساؤلاً كيف كان يفكر الأقدمون؟ إضافة إلى بعد المسافة الفكرية المجدبة بين القرن العشرين والقرن الثاني بعد الميلاد.

ويشير إلى أن الأقدمين فسروا الأحلام التنبؤية أنها من عند الله أما رأيهم فيقول (اعني بقولي

إنها تأتي من عند الله كما جرت العادة في تسمية جميع الأشياء التي تأتي مما لا نتوقعه (الافسسي، ص ٣٢) وقد أشار لها في عدة مواضع بقوله (فسرها الأوائل بكذا وكذا). ونستنتج من هذا ان هنالك من سبقه في تأويل الأحلام .

وفيما يلي عرض موجز لهذا الكتاب:

١- تناول الأحلام التنبؤية فقال عنها:

(الرؤيا التي تدل على ما سيكون أما الأضغاث وإنما تدل على الشيء الحاضر) ويذكر مثلاً على ذلك:

(مثل إنسان رأى كأن رجلاً قد طعنه فلما أصبح وخرج من موضعه ضربه ذلك الرجل على كتفه في الموضع الذي رأى في منامه أنه ضربه فيه) (الافسسي، ص ٧-١١) وهذا من النصوص النادرة عند الأقدمين للإشارة إلى الأحلام التنبؤية ذات المحتوى الصريح.

٢- أنواع الأحلام:

إن بعضها محمود في الظاهر والباطن ، وبعضها محمود في الظاهر مذموم في الباطن، وبعضها مذموم بالظاهر محمود الباطن (الافسسي، ص ٢٨).

٣- مؤثرات الجسم الداخلية - على حد التعبير الحديث - يقول:

(كما إن الأكل المجاوز للاعتدال لا يدع صاحبه أن يرى رؤيات صادقة) (الافسسي، ص ٣٣).

٤- معتقدات أهل البلد:

معرفة المعتقدات عند أهل البلد تسهل تأويل الحلم إذ يقول (فإن السمك تأكله الناس ما خلا بلاد سوريا، وأهل مصر يكرمون السباع وبعض الطيور... وإن الإنسان يسأل عن سنن البلدان ويتعلمها وإن بعض الأشياء من عادات أهل بلدة تكون محمودة والأشياء الخارجة عنها تكون غير محمودة) (الافسسي، ص ٣٥).

٥- الرمزية (حسب مفاهيم فرويد):

يقول أرتاميدورس (إذا رأى في المنام شيئاً في وقته فإنه خير والتين الأبيض خير من التين الأسود، والتين في غير وقته يدل على حسد يعرض لصاحب الرؤيا، وذلك لأن اليونانيين القدماء يسمون الحسد باسم التين) (الافسسي، ص ١٤٦).

===== الأحلام التنبؤية والإستكشافية (دراسة نفسية إثنروبولوجية) =====

ورؤية الماعز الأبيض أقل شراً من الماعز الأسود في الرؤيا لمن كان يسير في البحر لأن اليونانيين القدماء يسمون الأمواج الكبيرة باسم الماعز (الافسي، ص ٢١٨). وإذا رأى الإنسان كأنه قد سقط بعض أسنانه يدل على هلاك أحد من أهله، وحسب موقع السن وإن الأسنان من الناحية اليمنى تدل على الذكور والأسنان في الجهة اليسرى تدل على الإناث، وإن الأضراس تدل على الأشياء النفيسة وإن الفم يرمز عنده للبيت والأسنان هم أفراد الأسرة (الافسي، ص ٧١) وهذا ما هو متداول في التفكير الانثروبولوجي في المجتمع العربي ويبدو أن هذه الفكرة قديمة جداً، علماً بأن رمزية أحلام الأسنان عند فرويد ذات مدلول جنسي (فرويد، ص ٤٨٧).

والمرأة الفاجرة تشبه بالكرة وذلك لأن الكرة لا تبقى عند أحد بل تصير من واحد لآخر (الافسي، ص ١١٥) وعلى هذا النسق يؤول كثير من الأحلام .

٦- إبدال معنى بمعنى آخر:

يقول (إن إنساناً رأى إن أباه يحترق في النار فعرض أن مات صاحب الرؤيا نفسه، فصار أبوه بسبب اغتنامه عليه بمنزلة من يحترق بالنار غماً) (الافسي، ص ١٦).
٧- تأويلات عامة:

ومن رأى إنه يأكل سمكاً مالحاً فإنه يدل على خير (الافسي، ص ١٤٣) وإن رأى الإنسان كأنه يطير وقد ارتفع عن الأرض وكان رأسه نحو الهواء ورجلاه نحو الأرض فإن ذلك دليل خير لمن رأى هذه الرؤيا (الافسي، ص ٣٤٧).

فإن رأى إنه يطير بدون جناح يدل على خوف وشدة تعرض لمن رآها ، وإن رأى إنه يطير فوق القراميد والبيوت والأزقة يدل على اضطراب وإن أمور نفسه غير ثابتة (الافسي، ص ٣٤٧). علماً بأن أحلام الطيران يؤولها فرويد برغبات جنسية واضطرابات نفسية أيضاً. وبهذا العرض الموجز توضح لنا أنواع التأويلات القديمة والتي أثرت بالفكر الإنساني ومنهجية التأويل.

إنموذج رقم ٢: نماذج من كتب تأويل الأحلام في المجتمع العربي:

هنالك مؤلفات عديدة في المجتمع العربي تناولت تأويل الأحلام اخترنا منها ما يمثل ثلاثة قرون.

أ- كتاب تأويل الأحلام (المنسوب) لابن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ (تراجع نسبة الكتاب

لإبن سيرين في تعقيب آخر هذه الدراسة).

ب - كتاب تفسير الأحلام لإبن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

ج - كتاب التعبير في الرؤيا لنصر بن يعقوب القادري الدينوري المتوفى سنة ٤١٠هـ.

بعد إستقراء هذه النماذج من الكتب إتضح أنها إتبعَت نمطاً متقارباً إن لم يكن متطابقاً في نمط التأويل منذ القرن الثاني للميلاد على عهد الأفسسي.

فقد إنتهجت مفهوم (الرمزية) التي تترجم نفسها بالأمثال والأقوال والحكم والآيات الدينيه، ورموز الفواكه ومكونات الفلك والماء والنار والموت والحيوانات وأعضاء جسم الإنسان ووجه الاختلاف إنها ضمنت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر العربي في الترميز ولم تغفل هذه الكتب مؤثرات اختلاف البلدان في ثقافته والمعتقدات وخصوصية الإنسان ويمكن تمييز صنفين منها وهما:

الصنف الاول : دلالة المفهوم حسب المعتقدات المتداولة:

(فالسّمك يعني الخير، وموت الشخص يعني حياته، ورؤية الكبش يعني القائد).

رؤية الرطب تعني الرزق الحلال والشفاء والفرج ويعلل ذلك بقصة مريم العذراء ﴿عليها السلام﴾ ورؤية البيض في وعاء يدل على الجواني لقوله تعالى: {كأنهن بيضٌ مكنونٌ} الصافات ٤٩.

والتاج إذا رآته امرأة على رأسها فإنها تتزوج رجلاً رفيع المستوى وأن كانت حاملاً ولدت غلاماً.

ورؤية الياقوت في الحلم فإنه يفسر عند الراغب في الزواج ، بأنه يتزوج امرأة حسنة جميلة ذات دين، لقوله تعالى: {كأنهن نياقوتٌ والمرجان} الرحمن ٥٨ والحديد يعني البأس والقوة لقوله تعالى: (..وأُنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومُنافِعٌ للنَّاسِ ..) الحديد ٢٥.

فإن رأى إن دجاجته باضت فإنه يرزق ولداً والبيض المطبوخ رزق، ومن أكل البيض نيئاً فإنه يأكل مالاً حراماً. والرمزية هنا مشوشة فليس هنالك ما يرمز إلى علاقة البيض النيء بالمال الحرام وربما ذلك تبعاً للمفاهيم الاجتماعية السائدة في المجتمع آنذاك.

الصنف الثاني: تأويلات دون أن يكون لها مؤشر إنثروبولوجي:

إن رؤية الزئبق يدل في الحلم على خلف الموعد والخيانة والنفاق وأتباع الهوى وأن من رأى بيده شيء من الزئبق فإنه مذبذب في دينه متابع لهواه، خائن، غير مؤتمن وأكله لاخير فيه.

والنفط يعني في الحلم المال الحرام وقيل امرأة مفسدة ومن صب عليه نفطاً أصابه مكروه من قبل السلطان.

وليس هناك من الموروث الشعبي في القصص والأساطير والحكايات ما يؤيد دلالة (الزئبق أو النفط) وربما ترمز حركة الزئبق المترججة إلى التذبذب، ولكن ما علاقة التذبذب بالدين؟.

البعد المعرفي - النفسي:

نماذج من الإعتقاد بالأحلام وتأثيرها على السلوك الفردي والجمعي (أحد محاور الهدف الثالث من الدراسة):

من حيث تأثير الأحلام على السلوك الجمعي والفردي ، يتبادر لنا أسلوب اتخاذ القرار عند حكام البابليين والفراعنة، فلا يقطعون في حرب أو سلم أو بناء معبد إلا أن يظهر لهم الإله في الحلم.

ولم يتغير الأمر كثيراً في معتقدات الفرد والمجتمع فهناك من يتمتع عن زواج أو سفر أو مشروع تجاري لأنه رأى حلماً لم يسره.

ومن خلال خبرتنا الأكاديمية في علم النفس فقد وجدنا حالات كثيرة مؤلمة بسبب الإعتقاد بالأحلام الرمزية والأحلام الصريحة خصوصاً، فقد يصل الأمر إلى حالة الطلاق أو التوجس من الصديق وسوء الظن بالآخرين، ولهذا عمدنا إلى طرح هذا الموضوع كمحور من المنظور المعرفي النفسي ونبينا إلى أهمية معرفة مصادر الحلم والرمزية وتشوشها وضوابط التمييز بين أنواع الأحلام.

ومن المنظور الإنثروبولوجي نستعرض الأمثلة التالية:

*ذكر القادري (من رأى ميتاً ناداه من حيث لا يراه فأجابه، فإن الحي يموت) (القادري، ج ١، ص ٥٤٥). قالى أي مدى يستثار ويتكرر الحال إذا مر عليه مثل هذا الحلم واعتقد أنه يتحقق؟

وهذه الأحلام لو تحققت لكان الكثير ممن يحلمون قد توفوا وذلك مالم يحصل، وهذا ما يؤيده تجربة كل منا.

* قدم رجل على قرية الضحى في اليمن، قال: يا أيها الناس رأيت النبي (ص) في المنام وسمعتَه يقول: من قبل قدم الفقيه إسماعيل الحضرمي دخل الجنة، ويروى عن مفتي بمدينة زبيد أنه قال: وقع في نفسي من ذلك شيء، فلما دخلت على الحضرمي قال: مرحبا بك جئت لتقبل قدمي، ثم مد رجليه فقبلتهما (الشرجي الزبيدي، ص ٩٩).

* حلم أم عنقود:

في سنة ٦٤٥هـ (قبل سقوط بغداد ٦٥٦هـ) أصاب الناس ببغداد أمراض وبائية ومات بذلك خلق عظيم. فرأت امرأة من أهل بغداد حُلماً :
كَانَ إمْرَأَةً تَحَدَّثَتْ مَعَهَا مِنْ بَثْرٍ مَلَاصِقَةٍ لِسُورِ سُوقِ السُّلْطَانِ وَقَالَتْ لَهَا:
أَنَا جَنِيَّةٌ أَعْرِفُ (بِأُمِّ عِنْقُودٍ)، وَإِنْ ابْنِي (عِنْقُودٌ) مَاتَ وَلَمْ تَعْرِوْنِي فِيهِ وَأَنَا قَدْ غَضِبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ ذَا أَخْنَقَ النَّاسَ. فَاشَاعَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ الْمَنَامَ وَعَرَفْتَهُمُ الْبَثْرَ فَقَصَّدهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لِأَسِيمَا النِّسَاءِ، نَصَبْنَ هُنَاكَ خِيْمَةً وَنَحْنُ فِيهَا بِمَا صَوَّرَتْه:
(أُمُّ عِنْقُودٍ اعْذِرْنَا...) وَأَلْقَى فِيهَا الدَّنَانِيرَ وَالثِّيَابَ، وَأَشْعَلَتْ الْقَنَادِيلَ، وَقَبَّحَ أَهْلُ الْعِلْمِ ذَلِكَ، فَطُمَّ الْبَثْرُ (الكتبي، ص ١٣).

* الأحلام والإعداد القتالي: حلم الخليفة الواثق بالله (سد يأجوج ومأجوج):
قال (سلام الترجمان) إن الخليفة العباسي (الواثق بالله) رأى في المنام:
(إن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوح) فأرعبه هذا المنام، فأمرني بقصده، وضم خمسين رجلاً فحين وصلنا وسألنا أهل هذه البلاد:
هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج، فذكروا أنهم رأوا عدداً فوق الشرفات فهبت ريح سوداء، فألقتهم إلى جانبنا، فكان مقدار الواحد منهم في رأى العين شبراً ونصف شبر، وكان بين خروجنا ورجوعنا ثمانية عشر شهراً. قال ياقوت الحموي بعد روايته لهذا الخبر: الله اعلم بصحة ذلك (ضيف، ص ١٨٠) (بتصرف).

والتساؤل الآن لماذا قصد المفتي الحضرمي لتقبيل رجله؟ فالذي دعاه إلى هذا السلوك تصور معرفي عن الأحلام، ولماذا تجمع الناس رجالاً ونساءً لترضية أم عنقود؟ ولماذا جهّز الخليفة الواثق بالله جيشاً؟ كل ذلك نمط سلوكي (مخرجات) لمدخلات معرفية حول الاعتقاد

بالأحلام دون معرفة نوعية الحلم أو مصادره، ذلك ما يهدف إليه علم النفس بمصطلح (تعديل البنى المعرفية).

ما يخص الهدف الثاني من هذه الدراسة:

بعض الأحلام الموثقة :

• حلم (راين Rhine, J.B) (حلم إستكشافي):

يذكر راين: أن سيدة رأت في المنام أن أخاها يدخل بيته ثم يدخل حصانيه في الإسطبل فيحل أربطتهما ويتجه إلى مخزن العلف ويسحب مسدسه ويطلق النار على نفسه، وقد رآته بوضوح وهو يتدحرج ميتاً وسقط المسدس من يده واستيقظت مذعورة.
الحدث الواقعي:

أصرت على زوجها أن يذهبا بالعربة إلى بيت أخيها. ذهبت كثيراً حين رأت جسد أخيها مطروحاً في نفس المكان الذي رآته في الحلم، والمسدس ساقط بجانبه تماماً كالصورة التي حلمت بها. ويؤكد راين صحة هذه القصة ويعتمد على صدق من رواها (الوردي، ص ٥٧) (راين أشهر علماء الباراسايكلوجي، دعتة الحادثة أن يؤسس فرعاً في جامعة (ديوك) في أمريكا وساعده (وليم ماكدوجل) رئيس قسم علم النفس في الجامعة).

• حلم (طفل لندبرج) (حلم إستكشافي):

قام (موراي وويلر) لاستكشاف الوظيفة الاستكشافية للأحلام لواقعة اختطاف (طفل لندبرج). وقد نشر موراي بعد عدة أيام من الاختطاف إعلاناً في جريدة بوسطن يذكر فيه أن عيادة (هارفرد) النفسية يهتما الحصول على الأحلام المتعلقة بواقعة اختطاف الطفل وقد تسلم الباحثان قبل العثور على الطفل (١٣٠٠) حلماً تتعلق بالواقعة وقد تم بعد ذلك العثور على الجثة في قبر قليل العمق في غابة بالقرب من طريق يقع على بعد عدة أميال من منزل (لندبرج) ولم يكن مع الجثة رداء النوم الذي كان يلبسه الطفل عند اختطافه وقد مات فوراً نتيجة كسر الجمجمة، وقد عدت هذه المؤشرات أبعاداً للموضوعة في الأحلام وقد وجد الباحثان أن حوالي ٥٠% فقط من الأحلام (٧٥ حلماً) أشارت إلى أن الطفل قد مات من بينها سبعة فقط (أقل من ١%) تضمنت أوصافاً تتصل ولو بصورة عامة بتلك الأحداث التي أوضحت من قبل. واستخلصوا أربعة أحلام من (١٣٠٠) حلماً كانت تتضمن إشارات خاصة للفقرات الثلاثة الرئيسية (الموت-الدفن في قبر-الموقع بين الأشجار). ويبدو من غير المتوقع

أن تمثل الأحلام الأربعة التي اقتربت من الهدف تغلبا على عامل الصدفة (هول ولندزي، ص ٢٦٤) وتعقياً على ذلك إننا نتوقع ما نشاء من الإحتمالات إرادياً، ولكننا لا نستطيع أن نتحكم بالأحلام، وحتى لو كانت لدينا رغبة في موضوع الحلم فلا يمكن أن يتخلص الحلم من التشويهاة، وقد يحلم الشخص آلاف الأحلام ويتحقق حلم واحد فهل لنا أن نكرر حصول هذا الحلم التنبؤي؟ والتعامل الإحصائي لا يناسب هذا الموضوع حيث تستوجب البيانات المستخرجة مستوى الدلالة ولا يمكن هنا أن نعالج كميتين إحصائياً وبينهما فرق شاسع ونقصد به (١٣٠٠) حلمأ عادياً مقابل (أربعة) أحلام إستكشافية، ولذا يمكن أن نعد الأحلام الأربعة أحلاماً إستكشافية.

• حلم القطار (حلم تنبؤي):

سجل العالم (J.W.Dunn) أحلامه التي تتطابق مع الواقع لمدة عقد من الزمن وقد تجاوزت العشرين حلمأ ومنها:

إذ أنه رأى خط قطار مرتفع عن الأرض وتعرف بالمكان في حلمه إذ يقع شمال جسر "فرتف نورث" في اسكوتلنده ورأى عدة عربات من القطار وهي تسقط من المنحدر وعندما افاق حاول تعيين زمن الحادث كما كان منوهاً عنه في الحلم فكان منتصف شهر ابريل واخبر أخته في الحلم (توثيق) (حصل حلمه في خريف ١٩١٣).

الحادث الواقعي: وفي ١٤ ابريل من ربيع السنة التالية سقط القطار المعروف بالاسكتلندي الطائر من خطه المرتفع وفي مكان يقارب موقع سقوطه في الحلم (كمال، علي، ص ٦٤٨).

• حلم الجعران (حلم تنبؤي):

أثار هذا النوع من الأحلام اهتمام "كارل يونج" من جراء حادثة عرضت له إذ يقول: (كنت أعالج شابة وكانت تسرد لي في أثناء العلاج حلمأ رآته فقد حلمت أن شخصاً ما أعطاها جعراناً ذهبياً وكنت اجلس قبالتها وكان الشابك وراء ظهري وفجأة سمعت صوتاً ورائي مثل صوت من يدق بلطف على الزجاج وعندما التفت رأيتُ حشرة ترتطم بزجاج النافذة من الخارج ففتحت النافذة ودخلت الحشرة إلى داخل الغرفة وكانت أشبه بالجعران الذهبي فالجعران الذهبي لا يوجد في خطوط العرض الأوربية فقد كانت الحشرة خنفسة جغرافية (سيتونيا اورانا) إندفعت للدخول في الغرفة المظلمة على العكس من غريزتها وفي تلك

اللحظة بالذات) (الحمداني، ص ١٧٥). وذلك ما يجعل (يونيغ) يولي عناية خاصة لهذه الأحلام.

• حلم ملكة جمال إيطاليا (حلم تنبؤي):

وقد ذكر "هانس كورت" عدة أحلام تحذيرية وهو أحد العلماء الفرنسيين المتابعين لدراسة الأحلام منذ أربعين عاماً ومنها (حلم مارسيليا مارياني). وهي إحدى ملكات جمال إيطاليا إذ كتبت لأمها الرسالة الآتية قبل موعد رحلتها بالطائرة: أُمي العزيزة:

أمل أن تتخذ هذه الرسالة طريقاً غير طريقي وأن تصل في طائرة غير طائرتي فقد رأيت الليلة الماضية حلماً مربعاً فقد تحطمت الطائرة التي ألقاها على جبل هائل وسقطت في هاوية عميقة ولم يعد حولي سوى النار وقد مرضتُ من هول هذا الحلم وكنت اختنق. لا أريد أن أخيفك يا أُمي ولكن قلبي يخفق أنه كابوس حقيقي ومع ذلك لا أجرؤ العدول عن رحلتي فسوف أكون موضع سخرية. وقبل أربع ساعات من إقلاع الطائرة اتصلت مارسيليا بالدكتور "وليم تيرزي" كانت تشكو من الحمى ودقات قلبها غير منتظمة وقد بذل الطبيب جهداً لتهدئتها. وحصلت الكارثة إذ تحطمت الطائرة على الوجه الصخري لجبل (تير مينيليو) في الابنين وبعد يومين وصلت الرسالة لأُمها (هانس، كورت، ص ٥٢) وكان التوثيق لهذا الحلم متمثلاً برسالة الفتاة لامها وكذلك بشهادة الطبيب الذي اتصلت به قبل رحلتها.

• حلم والدة ماري جان (حلم إستكشافي):

يذكر (رو، وكرينر، وسولفان) حالة امرأة من منيسوتا عاملة في مسكن للأشخاص المسنين ورأت في حلمها يوماً من الأيام ابنتها (ماري جان) التي كانت تعيش في كاليفورنيا. إنها تمشي خلفها وتقدم على معانقتها. صرخت الأم (يارب، هذه ماري جان) وهي تلاحظ برعب، سحنة ابنتها، وسماتها المتعبة وإن فرائصها ترتعد من البرد. وإنها روت بالتفصيل لمديرتها ما كانت قد رآته في حلمها (توثيق). والحال أن ماري جان فاجأت أمها بدخول منزلها على غير انتظار بعد ثلاثة أيام من حلم أمها وكانت ماري جان قد قادت سيارتها منطلقاً من لوس انجلوس مسافة طويلة حتى منيسوتا وكانت قد تعرضت خلال السفر لعاصفة هوجاء من الثلج وأوشكت مرتين لأن تتعرض لحادث وقد جمدها من البرد وجعلها شاحبة (رو، كرينر، سولفان، ص ٢٤٦) وهنا نعد إخبار الحاملة لمديرتها بأحداث الحلم توثيقاً مسبقاً للحلم، يضاف إلى ذلك أن مجيء ماري إلى أمها دون موعد مسبق مؤشر على ضعف التوقعات الشعورية

للحدث، وربما كان الحلم تنبؤاً إذا إحتسبنا المسافة الطويلة بين منيسوتا ولوس أنجلوس،
فربما كان الحلم في بداية شروع إبنتها بالسفر.

• حلم زوجة هال:

يذكر (رو، وكريئر، وسولفان) أيضاً شهادة امرأة كان زوجها الأول قد انخرط في القوة الجوية
للولايات المتحدة الأمريكية واتصلت أمها التي كانت تعيش في الجوار لابنتها يوماً وكانت
إبنتها تنتحب على الطرف الثاني من الهاتف، فاستفسرت الأم عن أسباب بكائها. قالت البنت
(ماما كنت أغفو نصف غفوة على مقعد وحلمت ضرباً من الحلم ومع ذلك لم أكن أنام فرأيت
طائرة تسقط كما لو كنت أراها على شاشة التلفاز، إنني واثقة أن "هال" قتل أو أصيب
بجروح بالغة). وبذلت الأم قصارى جهدها لتطمئن ابنتها ولكن هذه الابنة ظلت مقتنعة
بصحة مخاوفها ووصل الخبر إليهما بعد ذلك بقليل. في حين كان هال يطير على رأس
سربه كانت طائرته قد أسقطت وكان هال قد ادخل المستشفى من جراء جروح بالغة الخطورة
إذ أنه سرح فيما بعد من الخدمة (رو، كريئر، سولفان، ص ٢٩٣) ولم يتضح من أحداث الحلم
أنه تنبؤي أو إستكشافي. (والعالم رو إمبرواز من المهتمين بالأحلام التنبؤية وقد كانت
مراسلات بينه وبين الباحث الحالي حول الأحلام عام ١٩٨٩).

• حلم المقبرة (تنبؤي):

يذكر الباحث الحالي الحلم الآتي:

أحداث ممهدة للحلم (شهادتي).

قدّمت إحدى الطالبات من قسم علم النفس كلية الآداب جامعة بغداد (من سكنة محافظة
ديالى) لبعض أساتذتها (وأنا منهم) بعض أكياس الحلوى بمناسبة عقد قرانها، فباركتُ لها
عقد القران وبعد مدة سألتها عن أحوالها وعلاقتها مع خطيبها، فأجابت بأنها بخير إلا أن
والدتها تبدو غير مرتاحة للخطوبة فاستفسرت عن السبب؟ قالت: لا ادري!. فقلت لها حاولي
إن تصارحي والدتك بالموضوع ربما تعرف شيئاً لا تعرفينه حتى تحتاطي للأمر، وبلغني
سلامي عليها، فردت الأم السلام وقالت (إن شاء الله خيراً) وقد تم عقد قرانها
في ١٠/٢/١٩٩٠ بعد مدة خطوبة.

(شهادة الطالبة):

أخبرتني الطالبة بتقرير مكتوب (لاحظتُ أمي - في مدة الخطوبة وقبل العقد بشهر - قلقاً جداً عندما أتكلم معها ولا اعلم السبب إذ لو قلتُ لها إنني اشتريتُ أنا وخطيبي شيئاً، لا تظهر الفرح بذلك وحتى لو قلتُ لها إن خطيبي أهداني شيئاً لا أرى عليها ارتياحاً والأكثر من ذلك تقول لي لاتخبري أحداً بما تشتريه أنت وخطيبك وكانت تبرر ذلك بالخوف من الحسد، وفي يوم ١٩٩١/٣/٢٣ بعد حرب الخليج الثانية استشهد خطيبي وذهبت وشيعته مع أمي والمشييعين وأخذت مع أمي مكاناً في إحدى سيارات التشيع. وذهبوا بجثمانه إلى إحدى المقابر، فقالت لي أمي هامة (إن هذا ليس مكانه في هذه المقبرة) وحصل لبس في عملية الدفن فتحرك موكب التشيع إلى مقبرة أخرى وحينما دخلنا المقبرة واقتربنا من مكان الدفن لوضع جثمانه همست أمي قائلة (هذا هو مكانه). وعرفت أمي ذلك لأنها رأت المكان في الحلم.

(شهادة الأم):

وكان حلم الأم بخطيب ابنتها كما أفادت الأم بناءً على طلبي:

(إن خطيبك أخذني إلى مكان فيه غرفة صغيرة ذات باب واحد خالية من الشبايبك وقال لي انظري - إنه بيتي - فقلت له: يا ولدي هناك بيتك عند اهلك حيث غرفتك ورد علي قائلاً: لا يا عمتي هذا بيتي وهذه غرفتي وليس هناك في بيت أهلي، وكان المكان واسعاً ذو شجيرات وأعشاب). وهذه الصورة المكانية تنطبق على مقبرة الشيخ ضاري حيث أنها ذات أشجار وأعشاب بخلاف مقبرة "محمد سكران".

وبهذا الحلم تم التقاطع بين ثلاث شهادات. الأولى شهادتي والثانية شهادة الفتاة والثالثة شهادة الأم ولذا عد هذا الحلم من الأحلام التنبؤية ذات التوثيق المسبق. (جاسم، ص ٥٩).

وعوداً لمادة هذا البحث في الأحلام الثمانية التي ذكرت نجد إن وحدة المطابقة والتي تتسم بأنها غير متوقعة عند الحالم أو أنها احتمال يصعب توقعه من عدة احتمالات تتضح في المخطط الآتي:

عنوان الحلم	حدث الحلم	حدث الواقع	نوع المطابقة
حلم راين	رجل يطلق النار على نفسه	كذلك	غير متوقعة من الحالم
طفل لندبرج	موت - دفن - موقع بين الأشجار	كذلك	عدة احتمالات وهنا احتمال واحد مطابق
حلم القطار	سقوط قطار قرب جسر نرتف نورث	سقوط القطار بالمكان نفسه تقريباً	غير متوقعة
حلم الجعران	أعطاه شخص جعراناً ذهبياً	ارتطام الجعران في الثيباك	غير متوقعة
حلم ملكة جمال ايطاليا	سقوط الطائرة التي تحملها على جبل وحولها نار	سقطت طائرتها على جبل تيرمينيليو في ايطاليا	غير متوقعة
حلم والدة ماري جان	ترى ابنتها متعبة وشاحبة وترتعد من البرد	تعرضت ابنتها لعاصفة ثلجية	عدة احتمالات واحتمال واحد هو الذي حدث
حلم المقبرة	خطيب ابنتها موجود في غرفة لها باب وليس لها شباك وحولها شجيرات	ثُفن في غرفة بمقبرة	عدة احتمالات واحتمال واحد هو الذي حدث

يُعدّ توثيق هذه الأحلام بأسلوب منهجي إنجازاً مهماً وتأتي أهمية التوثيق بالشهادة المسبقة أي أن الباحثين سجلوا شهادتهم أو شهادات الحالمين أو أساليب التوثيق بشهادة الآخرين قبل حصول الحدث الواقعي كما في الأحلام الثمانية المذكورة. وهذا الأمر نادر جداً في الدراسات النفسية أو الدراسات الباراسايكولوجية بخاصة، وذلك ما يعبر عنه هول وليندزي بقولهما:

(إن من المعتقدات الشائعة عن الأحلام، أنها تتيح أحياناً بياناً دقيقاً لأحداث .. ويمكن أن يكون ذا دلالة عظيمة إذا تحقق)(هول وليندزي، ص ٢٦٣).

ومن أشهر الدراسات العلمية الموثقة في تاريخ الباراسايكولوجي بعامة وفي مجال الأحلام بخاصة، ما وجده (بالمر) بأن هناك ارتباطاً فوق مستوى المصادفة في الأحلام الإستشفاكية (Palmer, 1982, p55). وهذا يعني قيامه بعدة دراسات في هذا المجال حتى يستطيع أن يستنتج مثل هذا الحكم الإحصائي.

كما أن دراسة (بيرسنجر وكرينر) أشارت إلى أن التخاطر في الأحلام يكون أكثر قوة (ارتباطاً) خلال ٢٤ ساعة بزيادة أو نقصان ثلاث ساعات & Presinger (Krippner, 1989, p110).

وقد تبين لنا أن المدة التي فصلت بين الحلم والحدث الواقعي في الأحلام الثمانية في هذه الدراسة امتدت من سنة إلى يوم (حلم القطار: سنة، حلم المقبرة: خمسة أشهر، حلم مارسيل: يوم).

وقد أكد كرير-أستاذ في مجال الباراسايكولوجي في معهد (Say brook) في الولايات المتحدة الأمريكية - للباحث الحالي خلال مراسلات علمية بيننا خلال عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ م وجود مثل هذا الارتباط بين الأحلام الاستكشافية وبين الأحداث الواقعية. وبذلك فإن هذه الدراسة قد وثقت هذه الأحلام والتي توافرت فيها بيانات موضوعية ولهذا فهي تكتسب دلالة مهمة بموضوع الأحلام الإستشفافية.

واتضح لنا أن الأحلام التنبؤية والاستكشافية ذات ضوابط وأسس تحليل كما في وحدة المطابقة التي تطرقنا إليها مما يشير إلى أن مفهوم وحدة المطابقة الموضحة في الجدول أعلاه إجراء منهجي مناسب لتشخيص الحلم الإستشفافي.

الهدف المعرفي - النفسي:

(المعالجة المعرفية لتخفيف حالة التشاؤم - المحور الثاني)

وما تقدم بضعنا أمام تصور فلسفي في غاية الأهمية ألا وهو فلسفة (القضاء والقدر) وكلنا يعرف ماذا يترتب على ذلك من توجيه السلوك فإن بعض الأحداث يمكن أن نتعرف بها قبل حصولها، إذن فهي تحصل واقعياً ولكن هناك تساؤلات؟

هل أن كل الأحداث التي تحصل لنا بالأحلام تحصل في الواقع الذي نعيشه؟

أو أن الأحلام تبين بعض ما يحدث لنا؟

وماذا نفعل أزاء فلسفة القضاء والقدر إذا تحققت بعض الأحلام؟.

ولكي نوضح معنى القدر نتطرق إلى مفهوم القدر فلسفياً وكذلك مفهوم الصدفة، ونتحسس العلاقة بينهما وبين الأحلام. إذ تعني (القدرية Fatalism) من المنظور الفلسفي والكلامي أن الأفعال والأحداث مقدرة على الإنسان سلفاً. وتعني (الحتمية Diterminism) من المنظور العلمي هي التنبؤ بالأحداث استناداً لقوانين علمية تحدد العلل والمعلولات، ومن المنظور النفسي فإن الأحداث لها أسبابها الخارجية كتأثير الآخرين والظروف، وأسباب داخلية كالعوامل الوراثية والدوافع والانفعالات والأفكار (دافيدوف، ص ٦٢) (دسوقي، ص ٣٨٢) لذا فإنها مفهوم فلسفي علمي يميل إليه العلماء التجريبيون وعلماء النفس وعلى وفق مفهوم

الاحتمية يمكننا التنبؤ بالنتائج إذا تعرفنا بالظروف المحيطة بالحدث أو إذا تعرفنا بأسبابها، والاحتمية لا تختلف عن القدرية كثيراً إلا أن الاحتمية متفائلة في معرفة الأسباب والنتائج في حين لا يتضمن مفهوم القدرية ذلك إلا التسليم للقدر.

أما (المصادفة Chance) فهي حادث مجهول العلة كما يعتقد (راسل) أو أنها حدث لا تعليل له كما عند (تشارلس بيرس و وليم جيمس) (الحفي، ص ٧٢٣) ويصنفها (يون) إلى أحداث لا معنى لها وأحداث ذات معنى وهي تخرج عن المألوف (الحمداني، ص ١٨٠) وترى نظرية الاحتمالات إن المصادفة تحصل بسبب عدة عوامل تحدث آثار مجتمعة يمكن التنبؤ بها (دسوقي، ص ٥٣٩).

فإلى أي مدى تخضع الأحلام الإستشغافية لمفهوم القدرية أم المصادفة؟

تبين لنا أن بعض الأحلام تكشف بعض ما يحدث لنا، ذلك هو أحد محاور الدراسة.

وبناءً على ذلك نعدل إعتقادنا بموضوعية حول التطير من جميع الأحلام، ونتأمل فيها ونؤولها تأويلاً علمياً منهجياً على وفق المفاهيم التي عرضت في هذه الدراسة (المصادر الحسية والنفسية - ضوابط التمييز - وحدة المطابقة)، وبذلك نقلص مساحة المجهول المكدر لدينا.

وإذا إستثنينا الأحلام الإستشغافية فماذا نقول بالأحلام التنبؤية التي تكشف ما يحصل مستقبلاً، أليس هو القضاء أم المصادفة؟ تلك هي الدلالة العظيمة التي يشير إليها علماء النفس.

فمن المعتقدات الدينية في المجتمع المسلم مؤشرات مهمة ندرجها من المنظور الإنثروبولوجي.

فالمصادفة كمفهوم وعلاقته بالأحلام من الصعوبة تناوله بعجالة، لأننا أصلاً ليس لدينا بديهيات أو مسلمّات نبني عليها فهمنا للمصادفة في الظواهر الطبيعية في الحياة ناهيك عن العلاقة بينها وبين الأحلام التنبؤية والتي هي سلوك لا شعوري بمنتهى الغموض. وبإختصار نشير إلى أن الأحلام التنبؤية مع ندرتها ولكن تفردا بالحدث وسبقها للزمن يجعلها خارج إطار المصادفة، والأحلام التي قدمناها في هذه الدراسة ومدتها الزمنية تؤيد ذلك.

والقدر من المنظور الفلسفي ومنظور علم الكلام لا بد وأن يحصل كالتعرض للحوادث، ولكن مساحة المناقشة تتمثل في تبديل القدر أي تقديم القدر أو تأخيرته أو نوعية الحدث أو شدته بناءً على مفاهيم دينية، مع علمنا إن مسألة القضاء والقدر مسلك صعب على التفكير، ومن أجل تطمين أنفسنا تشجعنا على ذلك بعض المفاهيم الدينية والتي تشير إلى تغيرات القدر:

كـ(الإستغفار - رضا الوالدين والإحسان لهما - الدعاء - التعوذ - الصدقة المادية والمعنوية - صلة الرحم، فعن الرسول(ص) (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَجْمَةً) (البخاري، حديث ٥٩٨٦).

- وما يحصل ليلة القدر من شؤون جديدة على الناس والكون يوضح ما نذهب إليه، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)) (سورة الدخان). وهذا يعني أننا في كل عام أمام أمر جديد (قضاء جديد، ورحمة من الله في هذه الليلة). وبهذا التفسير نكون قد أبعدنا أنفسنا عن الاتكالية والكدر النفسي، اعتماداً على مفهوم فلسفي - كلامي بأن الإنسان ممكن أن يدعو ويستغفر ويتصدق ويتعوذ ويصل الرحم، فالإنسان فعال بمساحة ما.

التوصيات:

- أ- العمل على إزاحة التطير أو التوقع التشاؤمي من الأحلام العادية لما يسببه من تعويق نفسي أزاء أهداف النشاط في الحياة (الإقدام على زواج أو تخصص دراسي أو مشروع تجاري أو سفر).
- ب- نشر الوعي للفرقة بين الأحلام العادية والأحلام الإستشفائية (التنبؤية والاستشفائية).

المقترحات:

- أ- إعداد دراسات تفريقية بين الأحلام العادية والأحلام الإستشفائية (الإستشفائية والتنبؤية).
- ب- إعداد دراسات تفريقية بين الأحلام الإستشفائية والأحلام التنبؤية.
- ج- دراسة مقارنة لتأويل الأحلام في حضارتي وادي النيل ووادي الرافدين.
- د- دراسة مقارنة لتأثيرات المعتقدات الدينية في تأويل الأحلام بين الحضارات القديمة ومصادر الأديان السماوية.
- هـ- دراسة مقارنة لتأويل الأحلام بين الحضارات القديمة والتراث العربي في القرن الرابع الهجري.

تعقيب حول نسبة كتاب (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) لابن سيرين:

١- ذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) ان لابن سيرين كتاب تعبير الرؤيا (ابن النديم، ص ٣٧٨) وهناك مدة زمنية كبيرة بين ابن سيرين وابن النديم المتوفي سنة ٣٨٠هـ، ولم يذكر موجزاً عن الكتاب كعادته.

٢- وذكر (ابن خلكان) أن له اليد الطولى في تعبير الرؤيا وتوفي سنة (١١٠هـ) بالبصرة (ابن خلكان، ص ٣٥) وذكر عنه (البغدادى) أنه كان عالماً بالقضاء (البغدادى، ص ٣٣١) ولم يذكر شيئاً عن تأويله للأحلام.

وأن المترجمين (البغدادى وابن خلكان) لم يذكر أن ألف كتاباً أو رسالة بتأويل الأحلام.

٣- في الكتاب إشارات واضحة يذكر فيها روايات تأويل ابن سيرين كما يذكر لغيره (قال فلان أيضاً) فيبدو أن الكتاب ألف من قبل مجهول.

٤- ويرى علي الوردي أن ابن سيرين توفي سنة (١٠٨ هـ) ومعنى ذلك أنه عاش في عصر لم يتم فيه تدوين الكتب، وبعد مائة عام ترجم حنين بن إسحاق كتاب (أرطاميدورس)، وقد تأثر المسلمون بمنهجه، فحذو حذوه في تأليف كتبهم، ولم ينسوا مع ذلك أن يضعوا اسم ابن سيرين عليها (الوردي، ص ٣١).

٥- وما يشاع أن تفسير الأحلام من إملاء الإمام جعفر الصادق أحد أئمة المسلمين، وإن ابن سيرين هو الذي كتب عن الصادق تأويلاته للأحلام ذلك ما وسع من شعبية الكتاب، وهذا يدعو إلى التقصي، إذ أن ابن سيرين توفي عام (١١٠هـ) وإن مدة حياة الإمام الصادق (٨٣هـ-١٤٨هـ) ذلك ما يعني أن عمر الإمام الصادق (سبعة وعشرون) عاماً حين توفي ابن سيرين.

٦- يذكر (الذهبي) أن أبا الوليد ابن جريح (المتوفي ١٥٠هـ) وسعيد ابن أبي عروبة (المتوفي ١٥٦هـ) أول من صنف الكتب، (الذهبي، ص ١٦٩) وتأسيساً على ذلك أن التدوين غير موجود في القرن الأول ومنتصف القرن الثاني.

٧- ويرى فهمي سعيد في مقدمة كتاب التعبير في الرؤيا لنصر بن يعقوب الدينوري القادري:

إن ما ينسب لابن سيرين المتوفى سنة (١١٠هـ) ما هو إلا نسخة عن كتاب تعبير الرؤيا للدينوري القادري وقد ذكر بعض المؤشرات على ذلك (القادري- المقدمة).

المراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن خلكان (١٩٩٨). *وفيات الأعيان*، ج ٤، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ٣- ابن سيرين، محمد (١٢٤٨هـ). *منتخب الكلام في تفسير الأحلام*، مصر: دار الطباعة الخديوية.
- ٤- ابن سينا، حسين بن عبد الله (١٣٧٥هـ). *الإشارات والتنبيهات*، ج ٣، إيران: دار البلاغة.
- ٥- ابن النديم، محمد بن إسحق (لا. ت). *الفهرست*، مصر: طبعة فلوجل.
- ٦- الألفسي، ارطاميدورس (١٩٦٤). *تعبير الرؤى*، ترجمة حنين بن إسحاق ٢٦٠هـ، تحقيق توفيق مهند، دمشق: منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية.
- ٧- البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٠٠٤). *صحيح البخاري*، بيروت: دار صادر.
- ٨- البغدادي، احمد بن علي (لا. ت). *تاريخ بغداد*، ج ٥، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ٩- الحفني، عبد المنعم (لا. ت). *الموسوعة الفلسفية*، بيروت: دار ابن زيدون.
- ١٠- الحمداني، موفق (١٩٩٠). *السحر وعلم النفس*، بغداد: شركة المعرفة.
- ١١- الذهبي، شمس الدين (١٩٥٥). *تذكرة الحفاظ*، ج ١، ط ١، الهند: حيدر آباد.
- ١٢- الشرجي، الزبيدي (١٩٨٦). *طبقات الخواص*، بيروت: الدار اليمنية.
- ١٣- العهد الجديد، إنجيل متى (لا. ت). بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- ١٤- العهد القديم، سفر التكوين (١٩٨٣). مونت كارلو، موناكو: دار الكتاب المقدس في العالم العربي.
- ١٥- الكتبي، محمد بن شاکر (١٩٨٠). *عيون التواريخ*، ج ٢، تحقيق فيصل السامر ونبيلة داود، بغداد: دار الرشيد للنشر.
- ١٦- القادري الدينوري، نصر بن يعقوب (١٩٩٧). *كتاب التعبير في الرؤيا*، تحقيق فهمي سعد، بيروت: عالم الكتب.
- ١٧- الوردی، علي (١٩٥٩). *الأحلام بين العلم والعقيدة*، بغداد: مطبعة الرابطة.
- ١٨- بدوي، نجيب يوسف (١٩٥٤). *التحليل الوظيفي للأحلام التنبؤية*، الكتاب السنوي في علم النفس، مصر: دار المعارف.

- ١٩- برجسون، هنري (٢٠٠٨). الطاقة الروحية، ترجمة سامي الدروبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- ٢٠- جاسم، باسم فارس (١٩٩٨). المحتوى الظاهر للحلم وتحققه في الواقع، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد ٤٤، ص ٤٧-٧٠.
- ٢١- دافيدوف، ليندا (١٩٨٠). مدخل علم النفس، ترجمه سيد الطواب وآخرون، القاهرة: دار ماكجروهيل.
- ٢٢- دسوقي، كمال (لا،ت). ذخيرة علم النفس، القاهرة: الدار الدولية للنشر.
- ٢٣- ديورانت، ول وايريل (لا،ت). قصة الحضارة (الهند)، ترجمة محمد بدران، بيروت: دار الجيل.
- ٢٤- رو، امبرواز، ستانلي كريبنر، جيرلد سولفان (١٩٩٣). العلم وقدرات الإنسان النفسية، ترجمة وجيه اسعد، دمشق: دار البشائر.
- ٢٥- روثن، مرغريت (١٩٨٠). علوم البابليين، ترجمة اسعد حبي، بغداد: دار الرشيد للنشر.
- ٢٦- ساكز، هاري (١٩٧٩). عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، العراق: وزارة التعليم العالي.
- ٢٧- سوسة، أحمد (١٩٨٠). حضارة وادي الرافدين، بغداد: دار الرشيد.
- ٢٨- ضيف، شوقي (٢٠٠٤). عجائب وأساطير، مصر: دار الهلال.
- ٢٩- فروم، اريك (١٩٩٠). الحكايات والأساطير، ترجمة صلاح حاتم، سوريا: دار الحوار للنشر.
- ٣٠- فرويد، سيجموند (لا،ت). تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، القاهرة: دار المعارف.
- ٣١- كمال، حسن (١٩٦٤). الطب المصري القديم، ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣٢- كمال، علي (١٩٩٠). باب النوم وباب الأحلام، ط٢، بيروت: دار واسط.
- ٣٣- لابات، دينيه (١٩٨٨). المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، ترجمة الأب البيرا بونا ووليد الجادر، جامعة الموصل.
- ٣٤- مخيمر، صلاح (١٩٧٥). المدخل إلى الصحة النفسية، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٣٥- هانس، كورت (١٩٩٣). قاموس تفسير الأحلام، ترجمه انتوان حمصي، دمشق: دار الفاضل.

٣٦- هول، كالفين، وليندزي جاردنر (١٩٧٨). نظريات الشخصية، ط ٢، ترجمة فرج أحمد فرج وقصري حفني ولطفي فطيم، القاهرة: دار الشايع للنشر .

- 37- Freud. S.(1933). *A new series of introductory Lectures on psycho-analysis* . I.N.C. New York: w.w Norton company.
- 38- Palmer, John(1982). Esp research finding,(in) Krippner,Stanly, *advances in parapsychological research* ,vol.3.New York .
- 39- Presinger, Michael & Krippner ,Stanly,(1989). dream Esp experiments and geomagnetic activity (in) *The Journal of the American Society for Psychical Research*, vol.83.april.
- 40- Oppenheim, A. Leo (1956). *the interpretation of dreams in the ancient near east, with a translation of an Assyrian dream book*, transactions of the American philosophical society, vol.46, part 3: Hardcover.

Foreknowledge & clairvoyance dreams and behavior psycho-anthropological study

Dr. Basem Fares Gasem
Faculty of Education for Girls
Kofa University

Abstract

This study disclosed that the ancient sophisticated communities interested in explanation of dreams as Babylonian, Assyrian, Pharaohs and Greece through review of samples of archaeological notes .

The sources of religions handled this Phenomenon but religious explanations just were of foreknowledge dreams (symbols).The phylosophists are interested in that B.C and the muslims phylosophists are interested in the 3rd century. otherwise the European phylosophists are interested in the era of renaissance. That attention led to the dogma of publics and therefore Their behavior which led to detectional dreams. This behavior is undevelopment.

Thus, the study differentiated from normal and detectional dreams. This study clarified seven documented dreams by distinguished psychologists of detectional dreams, in addition to just one dream for the author to reply realistic inquiries of dreams.

